مُقَدِّمَة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد:

فهذه رسالة، في بيان ما ينبغي على المسلم والمسلمة، من الالتزام به في اليوم والليلة، في دينهم الحنيف، وهذه الرسالة على قسمين، القسم الأول في بيان ما يجب وما يستحب من التزامه وفعله، وهو في المأمورات، وأما القسم الثاني ففي بيان ما يحرم وما يكره من التزامه وفعله، وهو في المنهيات.

والله تعالى نسأل القبول والنفع، إنه تعالى سميع قريب مجيب.

وصَلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وأمته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إعداد
خالد رمضان حسن
غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

الإنسان مرة أن يكون مطيعًا، فإذا قال حتى يأتيك اليقين، فقد أمره بالإقامة على العبادة أبدًا ما دام حيًّا" . ا هـ.

وبالجملة:

فالمسلم والمسلمة ـ في اليوم والليلة، وحتى الممات ـ بين عبودية وعبادة.

أما العبودية: فلا ينفك في حياته، من أن يحقق العبودية لله تعالى:

بالإيمان به، وبتوحيده، وامتثال أمره، واجتناب نهيه.

وأما العبادة: فبأداء وقضاء ما افتُرض عليه، والقيام ـ اختيارًا ـ بما يتطوع به.

وهذه هي حقيقة اليوم في الشرع ـ عبودية وعبادة ـ.

ولكن المسلمين والمسلمات، قد انقسموا في حقيقة اليوم عندهم:

فمن المسلمين والمسلمات: من هذه حقيقة اليوم عنده ـ عبادة وعبودية ـ.

- **ومنهم من حقيقة اليوم عنده:** فجر وظهر وعصر ومغرب وعشاء.
- **ومنهم من حقيقة اليوم عنده:** نوم واستيقاظ، وطعام ولهو.
- **ومنهم من حقيقة اليوم عنده:** جدٌّ واجتهاد في تحصيل أسباب المعاش.
- **ومنهم من حقيقة اليوم عنده:** جدٌّ واجتهاد في تحصيل أسباب النجاح في الدنيا.

قال السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ في "تنبيه الغافلين":

"قال بعض الحكماء: إذا أصبح الرجل، ينبغي أن ينوي أربعة أشياء:

أولهـــا: أداء ما فرض الله عليه.

والثاني: اجتناب ما نهى الله عنه.

والثالث: إنصاف من كان بينهم وبينه معاملة.

والرابع: إصلاح ما بينه وبين خصمائه.

فإذا أصبح على هذه النيات؛ أرجو أن يكون من الصالحين المفلحين.

وقيل لبعض الحكماء: بأي نية يقوم الرجل عن فراشه؟.

قال: لا يسأل عن القيام، حتى ينظر كيف ينام، ثم يسأل عن القيام؛ فمن لم يعرف كيف ينام، لا يعرف كيف يقوم.

ثم قال: لا ينبغي للعبد أن ينام ما لم يصلح أربعة أشياء:

- **أولها**: أن لا ينام وله على وجه الأرض خصم، حتى يأتي فيتحلل منه؛ لأنه ربما يأتيه مَلَكُ الموت فيقدمه على ربه ولا حُجة له عنده.
- **والثاني**: لا ينبغي أن ينام وقد بقي عليه فرض من فرائض الله تعالى.
- **والثالث**: لا ينبغي أن ينام ما لم يتب من ذنوبه التي سلفت؛ لأنه ربما يموت من ليلته وهو مُصِرٌّ على الذنب.
- **والرابع**: لا ينبغي أن ينام حتى يكتب وصية صحيحة؛ لأنه ربما يموت من ليلته من غير وصية.

ويقال: الناس يصبحون على ثلاثة أصناف:

- صنف في طلب المال.
- وصنف في طلب الإثم.
- وصنف في طلب الطريق [١].
- فأما من طلب المال: فإنه لا يأكل فوق ما رزقه الله تعالى، وإن كَثُر المال.
- ومن أصبح في طلب الإثم: لحقه الهوان.
- ومن أصبح في طلب الطريق: آتاه الله تعالى الرزقَ والطريق.

وقال بعض الحكماء: من أصبح لزمه أمران:

الأمن.. والخوف.

- فأما الأمن: فهو أن يكون آمنًا بما تكفل الله له من أمر رزقه.

---

(١) يقصد به طريق الله تعالى، والذي هو: العبادة، والطاعة، والقيام بدينه.

■ وأما الخوف: فهو أن يكون خائفًا فيما أُمر به حتى يتمه.

فإذا فعل هذين؛ أكرمه الله تعالى بشيئين:

■ أحدهما: القناعة بما يُعطيه.

■ والثانـــي: حلاوة طاعته.

وذُكر عن إبراهيم بن أدهم قال: من أصبح لزمه شكر أربعة أشياء:

■ **أولها**: أن يشكر فيقول: الحمد لله الذي نور قلبي بنور الهدى، وجعلني من المؤمنين، ولم يجعلني ضالاً.

■ **والثاني**: أن يقول: الحمد لله الذي جعلني من أمة محمد ﷺ.

■ **والثالث**: أن يقول: الحمد لله الذي لم يجعل رزقي في يد غيره.

■ **والرابع**: أن يقول: الحمد لله الذي ستر عليَّ عيوبي.

وعن شقيق بن إبراهيم قال: لو أن رجلاً عاش مائتي سنة، ولا يعرف هذه الأربعة أشياء؛ فليس شيء أحق به من النار:

■ أحدها: معرفة الله تعالى.

■ والثاني: معرفة عمل الله تعالى.

■ والثالث: معرفة نفسه.

■ والرابـع: معرفة عدو الله، وعدو نفسه.

فأما معرفة الله تعالى: فأن يعرفه في السر والعلانية؛ لأنه لا معطي ولا مانع غيره.

وأما معرفة عمل الله تعالى: فأن يعرف أن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجه الله تعالى.

وأما معرفة نفسه: فأن يعرف ضعفه، وأن لا يستطيع أن يرد شيئًا مما يقضي الله تعالى عليه. يعني: يرضى بما قَسَمَ الله له.

وأما معرفة عدو الله، وعدو نفسه: فأن يعرفه بالشر فيجازيه بالمعرفة؛ حتى يكسره.

ويقال: ما من يوم أصبح فيه ابن آدم، إلا فرض الله عليه عشرة أشياء:

■ **أولها: أن يذكر الله تعالى عند قيامه**؛ لقوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ [الطور: ٤٨]. وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) ﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٢].

■ **والثاني: ستر العورة**: لقوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [الأعراف: ٣١]. وأدنى الزينة ما يواري العورة.

■ **والثالث: إتمام الوضوء في أوقاته**؛ لقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴾ [المائدة: ٦].

■ **والرابع: إتمام الصلاة في أوقاتها**؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ [النساء: ١٠٣]. يعني: فرضًا مفروضًا، مؤقتًا، معلومًا.

■ **والخامس: الأمن بوعد الله في شأن الرزق**؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦].

■ **والسادس: القناعة بقسم الله تعالى**؛ لقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الزخرف: ٣٢].

■ **والسابع: التوكل على الله**؛لقوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨]. ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣].

■ **والثامن: الصبر على أمر الله تعالى وقضائه**؛ لقوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ [القلم: ٤٨]. ولقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

■ **والتاسع: الشكر على نعمة الله تعالى**؛ لقوله عز وجل: ﴿ وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ

اللَّه إن كنتم إيَّاهُ تعبدون ﴾ [النحل : ١١٤] . **وأول النعمة هي صحة الجسم** . . **وأعظم النعمة هي دين الإسلام، ونعمه كثيرة** ، قال الله تعالى في محكم تنزيله : ﴿ وإن تعدُّوا نعمةَ اللَّه لا تُحصُوها ﴾ [النحل : ١٨] .

- **والعاشر: الأكل الحلال**؛ لقوله تعالى : ﴿ كُلُوا من طيِّبات ما رزقناكُمْ ﴾ [البقرة : ٥٧] . يعني : حلالاً" . اهـ .

مطلب في : عدد أوراد الليل والنهار، وترتيبها:

قال ابن قدامة المقدسي ـ رحمه الله ـ في "مختصر منهاج القاصدين":

"أوراد النهار سبعة، وأوراد الليل ستة، فلنذكر فضيلة كل ورد ووظيفته وما يتعلق به .

الورد الأول من أوراد النهار: ما بين طلوع الفجر الثانى إلى طلوع الشمس، وهو وقت شريف، وقد أقسم الله تعالى به فقال : ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨) ﴾ .

[التكوير :١٨] .

فينبغي للمريد إذا انتبه من النوم أن يذكر الله سبحانه وتعالى فيقول : « **الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور** » روى ذلك عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم من أفراد البخاري .

الورد الثاني : ما بين طلوع الشمس إلى الضحى: وذلك بمضي ثلاث ساعات من النهار، إذا فُرض النهار اثنتي عشرة ساعة ، وهو الربع، وهذا وقت شريف ، وفيه وظيفتان :

إحداهما : صلاة الضحى .

والثانية : ما يتعلق بالناس من عيادة مريض، أو تشييع جنازة، أو حضور مجلس علم، أو قضاء حاجة مسلم، وإن لم يفعل شيئًا من ذلك : تشاغل بالقراءة والذكر .

الورد الثالث: من وقت الضحى إلى الزوال: والوظيفة في هذا الوقت: الأقسام الأربعة، وزيادة أمرين:

أحدهما: الاشتغال بالكسب والمعاش، وحضور السوق، فإن كان تاجراً: فليتجر بصدق وأمانة. وإن كان صاحب صنعة: فليصنع بنصيحة وشفقة، ولا ينسَ ذكرَ الله تعالى في جميع أشغاله، وليقنع بالقليل.

والثاني: القيلولة، فإنها مما تعين على قيام الليل، كما يعين السحور على صيام النهار، فإن نام فليجتهد في الانتباه قبل الزوال، بقدر الاستعداد للصلاة قبل دخول الوقت.

واعلم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة، فالاعتدال أن ينام من ذلك الثلث، وهو ثمان ساعات، فمن نام أقل من ذلك لم يأمن اضطراب بدنه، ومن نام أكثر من ذلك كثر كسله، فإذا نام أكثر من ذلك في الليل: فلا وجه لنومه في النهار، بل من نقص منه؛ استوفى ما نقص في النهار.

الورد الرابع: ما بين الزوال إلى الفراغ من صلاة الظهر: وهو أقصر أوراد النهار وأفضلها، فينبغي له في هذا الوقت إذا أذن المؤذن أن يجيبه بمثل قوله، ثم يقوم فيصلي أربع ركعات، ويستحب أن يطيلهن، فإن أبواب السماء تفتح حينئذ، ثم يصلي الظهر وسنتها، ثم يتطوع بعدها بأربع.

الورد الخامس: ما بعد ذلك إلى العصر: فيستحب له في هذا الوقت الاشتغال بالذكر، والصلاة، وفنون الخير، ومن أفضل الأعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة.

الورد السادس: إذا دخل وقت العصر إلى أن تصفر الشمس: وليس في هذا الوقت صلاة سوى أربع ركعات بين الأذانين، ثم فرض العصر، ثم يتشاغل بالأقسام الأربعة التي سبق ذكرها في الورد الأول، والأفضل فيه تلاوة القرآن بالتدبر والتفهم.

الورد السابع: من اصفرار الشمس إلى أن تغرب: وهو وقت شريف. قال الحسن

البصري رحمه الله : كانوا أشد تعظيمًا للعشي من أول النهار. فيستحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة.

وبالمغرب: تنتهي أوراد النهار، فينبغي أن يلاحظ العبد أحواله ويحاسب نفسه، فقد انقضت من طريقه مرحلة. وليعلم أن العمر أيام تنقضي جملتها بانقضاء آحادها.

قال الحسن: يا ابن آدم، إنما أنت أيام، إذا مضى يومك مضى بعضك. وليتفكر هل ساوى يومه أمسه، فإن رأى أنه قد توفر على الخير في نهاره، فليشكر الله سبحانه وتعالى على التوفيق، فإن تكن الأخرى، فليتب وليعزم على تلافى ما سبق من التفريط في الليل، فإن الحسنات يذهبن السيئات، وليشكر الله تعالى على صحة جسمه، وبقاء بقية من عمره؛ يمكن فيها استدراك التقصير، وقد كان جماعة من السلف يستحبون أن لا ينقضي يوم إلا عن صدقة، ويجتهدون فيما أمكن من كل خير.

ذكـــر أوراد الليـــل:

الورد الأول: إذا غربت الشمس إلى وقت العشاء: فإذا غربت صلى المغرب، واشتغل بإحياء ما بين العشاءين، فقد روى أنس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ **تتجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** (١٦) ﴾ [السجدة : ١٦]. أن هذه الآية نزلت في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كانوا يصلون بين المغرب والعشاء.

الورد الثانى: من غيبوبة الشفق الأحمر إلى وقت النوم: يستحب أن يصلى بين الأذانين ما أمكنه، وليكن في قراءته: ﴿ **الٓمٓ** (١) **تنزيلُ الكتاب** ﴾ [السجدة :١] و ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ** ﴾ [الملك : ١] فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينام حتى يقرأهما.

الورد الثالث: الوتر قبل النوم: إلا من كان عادته القيام بالليل، فإن تأخيره في

حقه أفضل، قالت عائشة رضي الله عنها من كل الليل قد أوتر رسول الله ﷺ ، من أول الليل، وأوسطه، وآخره، فانتهى وتره إلى السَّحر. متفق عليه. ثم ليقل بعد الوتر: "**سبحان الملك القدوس**" ثلاث مرات.

الورد الرابع: النوم: وإنما عددناه من الأوراد؛ لأنه إذا روعيت آدابه، وحسن المقصود به؛ احتُسب عبادة . وقد قال معاذ رضي الله عنه : إني لأحتسب في نومتي كما أحتسب في قومتي .

فمن آداب النوم : أن ينام على طهارة، لما روت عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن ينام يتوضأ وضوءه للصلاة. وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : إن الأرواح يُعرَجُ بها في منامها إلى السماء، فتؤمر بالسجود عند العرش، فما كان منها طاهراً سجد عند العرش، وما كان ليس بطاهر سجد بعيداً عن العرش.

ومن آدابه أن يتوب قبل نومه؛ لأنه ينبغي لمن طهر ظاهره أن يطهر باطنه؛ لأنه ربما مات في نومه. ومنها: أن يزيل كل غش في قلبه لمسلم، ولا ينوى ظلمه، ولا يعزم على خطيئة إذا استيقظ.

ومنها: أن لا يبيت من له شئ يُوصِى به، إلا ووصيته مكتوبة عنده؛ لأن في "الصحيحين ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبى ﷺ أنه قال: " **ما حق امرئ مسلم له شئ يوصى فيه، يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده** " .

وينبغى له أيضًا أن لا يبالغ في تمهيد الفراش متنعمًا بذلك؛ فإنه يزيد في النوم، فإن النبى ﷺ ثُنِىَ له فراشُه فقال : " **منعتني وطأته صلاتي الليلة** " .

وينبغى أن لا ينام حتى يغلبه النوم، فقد كان السلف لا ينامون إلا غلبة .

ومن آدابه أن يستقبل القبلة، وأن يدعو بما ورد في الأحاديث في ذلك، وأن ينام على جنبه الأيمن، فمما جاء في ذلك ما روى أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: " **إذا أوى أحدكم إلى فراشه، فلينفضه بداخلة إزارة؛ فإنه لا**

يدرى ما حدث بعده " . فإذا وضع جنبه فليقل: " **باسمك ربى وضعتُ جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فاغفر لها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**" أخرجاه في "الصحيحين.

وفى "الصحيحين" أيضًا، من حديث عائشة، أن النبى ﷺ كان إذا آوى إلى فراشه كل ليلة، جمع كفيه ثم نفخ فيهما وقرأ فيهما: ﴿ قل هو الله أحد ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ ، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات.

وفيهما من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه ،أن رسول الله ﷺ قال: "**إذا أتيت مضجعك ، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهتُ وجهي إليك، وفوضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنتُ بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذى أرسلت، فإنك إن متَّ ليلتك متَّ على الفطرة، وإن أصبحت أصبت خيراً**" .

وعن عليّ رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال له ولفاطمة: "**إذا أخذتما مضاجعكما أو أويتما إلى فراشكما، فسبحا الله ثلاثًا وثلاثين، واحمداه ثلاثًا وثلاثين، وكبّراه أربعًا وثلاثين؛ فهو خير لكما من خادم**" متفق عليه. وحديث أبى هريرة رضي الله عنه في حفظ زكاة رمضان مشهور، وفيه أن شيطانًا قال له : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي؛ فإنه لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربه شيطان. فأخبر رسول الله ﷺ فقال : "**أما إنه قد صدقك وهو كذوب**" .

وفى أفراد مسلم أن النبى ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: "**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافى له ولا مأوى**" . فإن استيقظ للتهجد، فليدع بدعاء رسول الله ﷺ : "**اللهم ربنا لك الحمد، أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاءك حق، والجنة حق، والنار**

حق، والنبيون حق، ومحمد حق،والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت". وفي رواية: "**وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت**" متفق عليه.

وليجتهد أن يكون آخر كلامه عند النوم ذكر الله تعالى، وأول ما يجرى على لسانه عند التيقظ ذكر الله تعالى، فهاتان علامتان على الإيمان .

الورد الخامس من أوراد الليل: يدخل بمضي النصف الأول إلى أن يبقى من الليل سدسه: وذلك وقت شريف، قال أبو ذر رضي الله عنه: سألت رسول الله ﷺ: أي صلاة الليل أفضل؟ فقال: "**نصف الليل، أو جوف الليل، وقليل فاعله**".

وروى أن داوود عليه السلام قال: يا رب، أية ساعة أقوم لك ؟ فأوحى الله تعالى إليه: يا داوود لا تقم أول الليل ولا آخره ، ولكن قُم في شطر الليل؛ حتى تخلو بى وأخلو بك، وارفع إليَّ حوائجك .

فإذا قام إلى التهجد، قرأ العشر آيات من آخر سورة آل عمران ، كما روى في الصحيحين أن النبى ﷺ فعل ذلك، وليدعُ بما سبق من دعائه ﷺ عند قيامه من الليل، ثم يستفتح صلاته بركعتين خفيفتين، لما روى أبو هريرة رضي الله عنه ، عن النبى ﷺ أنه قال : "**إذا قام أحدكم يصلى بالليل، فليبدأ بركعتين خفيفتين**" رواه مسلم، ثم يصلى مثنى مثنى، وأكثر ما روى عن النبى ﷺ أنه كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة مع الوتر، وأقلهن سبع .

الورد السادس من الليل: السدس الأخير وهو وقت السّحر: قال الله تعالى : ﴿ **وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** (١٨) ﴾ [الذاريات : ١٨] ، وفي الحديث : إن قراءة الرجل آخر الليل محضورة .

وجاء طاووس إلى رجل وقت السحر فقالوا: هو نائم، فقال: ما كنتُ أرى أن

أحداً ينام وقت السحر .

فإذا فرغ المريد من صلاة السحر، فليستغفر الله عز وجل. وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يفعل ذلك " . اهـ.

مطلب في : تناسب الأوراد بتناسب الأحـــوال المختلفة:

قال ابن قدامة المقدسي ـ رحمه الله ـ في "مختصر منهاج القاصدين":

"**اعلم** : أن السالك لطريق الآخرة لا يخلو من ستة أحوال: إما أن يكون عابداً، أو عالمًا، أو متعلمًا، أو واليًا، أو محترفًا، أو مستغرقًا بمحبة الله عز وجل، مشغولاً به عن غيره .

الأول: العابد: وهو المنقطع عن الأشغال كلها إلى التعبد، فهذا يستعمل ما ذكرنا من الأوراد، وقد تختلف وظائفه، فقد كانت أحوال المتعبدين من السلف مختلفة، فمنهم من كان يغلب على حاله التلاوة، حتى يختم في يوم ختمة، أو ختمتين ، أو ثلاثًا، وكان فيهم من يُكثر التسبيح، ومنهم من يُكثر الصلاة، ومنهم من يُكثر الطواف بالبيت .

فإن قيل: فما الأولى أن يصرف إليه أكثر الأوقات من هذه الأوراد ؟.

فاعلم أن قراءة القرآن في الصلاة قائمًا، مع التدبر يجمع الجميع، ولكن ربما عسرت المواظبة على ذلك، والأفضل يختلف باختلاف حال الشخص، ومقصود الأوراد تزكية القلب وتطهيره، فلينظر المريد ما يراه أشد تأثيراً فيه فليواظب عليه، فإذا أحس بملل انتقل عنه إلى غيره .

الثاني : العالم: الذي ينتفع الناس بعلمه في فتوى، أو تدريس، أو تصنيف، أو تذكير، فترتيبه في الأوراد يخالف ترتيب العابد، فإنه يحتاج إلى المطالعة في الكتب، والتصنيف والإفادة، فإن استغرق الأوقات في ذلك، فهو أفضل ما يشتغل به بعد المكتوبات، وإنما نعنى بالعلم المقدم على العبادة: الذي يُرغِّب في الآخرة، ويعين على

سلوك طريقها، والأولى بالعالم أيضاً أن يقسم أوقاته؛ لأن استغراق الأوقات في العلم لا تصبر عليه النفس.

فينبغي أن يخص ما بعد الصبح إلى طلوع الشمس: بالأذكار والأوراد على ما ذكرنا.

■ **ثم ما بعد طلوع الشمس إلى الضحى**: في الإفادة والتعليم، فإن لم يكن عنده من يتعلم، صرف ذلك الزمان إلى التفكير في العلوم؛ فإن صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا، يعين على التفطن للمشكلات.

■ **ثم من ضحوة النهار إلى العصر**: للتصنيف والمطالعة، لا يترك ذلك إلا في وقت أكل، أو طهارة، أو مكتوبة، أو قيلولة.

■ **ومن العصر إلى اصفرار الشمس**: بسماع ما يُقرأ عليه من تفسير، أو حديث، أو علم نافع.

■ **ومن الاصفرار إلى الغروب**: يشتغل بالاستغفار والتسبيح، فيكون ورده الأول من عمل اللسان، والثاني في عمل القلب بالتفكير، والثالث في عمل العين واليد والمطالعة والنسخ، والرابع بعد العصر في عمل السمع؛ لتتروح العين واليد؛ فإن المطالعة والنسخ بعد العصر ربما أضر بالعين.

■ **وأما الليل**: فأحسن قسمة فيه قسمة الشافعي رحمه الله، فإنه كان يقسمه ثلاثة أجزاء:

الثلث الأول: لكتابة العلم، والثاني: للصلاة، والثالث: للنوم.

فأما الصيف، فربما لا يحتمل ذلك، إلا إذا كان أكثر النوم بالنهار.

الثالث: حال المتعلم: فإن التعلم أفضل من التشاغل بالأذكار والنوافل، وحكم المتعلم حكم العالم في ترتيب الأوراد، لكنه يشتغل بالاستفادة حين يشتغل العالم بالإفادة، وبالتعليق والنسخ حين يشتغل العالم بالتصنيف، فإن كان من العوام: كان حضوره مجالس الذكر والعلم والوعظ، أفضل من اشتغاله بالأوراد المتطوع بها

الرابع: الوالى: مثل الإمام، والقاضى، أو المتولي للنظر في أمور المسلمين، **فقيامه** بحاجات المسلمين وأغراضهم على وفق الشرع، وقصد الإخلاص: **أفضل من الأوراد** المذكورة، لأنه عبادة يتعدى نفعها، فينبغي أن يقتصر في النهار على المكتوبات، ثم يستفرغ باقي الزمان في ذلك، ويقنع بأوراد الليل.

الخامس: المحترف: وهو محتاج إلى الكسب له أو لعياله، فليس له أن يستغرق الزمان في التعبد، بل يجتهد في الكسب مع دوام الذكر، فإذا حصل له ما يكفيه عاود الأوراد.

السادس: المستغرق بمحبة الله سبحانه: فهذا ورده بعد المكتوبات حضور القلب مع الله تعالى، وهو يحركه إلى ما يريد من ورده. وينبغى أن يداوم على الأوراد؛ لقول النبى ﷺ: «**أحب العمل إلى الله تعالى أدومه وإن قل**». وكان النبى ﷺ عمله ديمة ". اهـ.

[٢] حقيقة عمل المسلم والمسلمة:

حب.. وتعظيم:

إن حقيقة عمل المسلم والمسلمة، أنه امتثال لأمر الله تعالى في كتابه، وأمر النبي ﷺ في سُنَّته، كما أنه إيمانٌ بتشريعه، واحتسابٌ لأجره.

قال تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (٩٧) ﴾ [النحل: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿ **وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ** ﴾ [طه: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿ **مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ** (٤٤) ﴾ [الروم: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ**

أُنثىٰ وهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠) ﴾[غافر: ٤٠] .

وقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [الجاثية: ١٥].

فالذين عملوا، ويعملون الصالحات، من المؤمنين والمؤمنات في حياة طيبة .

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره:

"هذا وعدٌ من الله تعالى لمن عمل صالحًا، وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسُنَّة نبيه ﷺ، من ذكر أو أنثى، من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وأن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله بأن يحييه الله حياةً طيبة في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الاخرة .

والحياة الطيبة :تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت. وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة أنهم فسروها بالرزق الحلال الطيب. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه فسرها بالقناعة. وكذا قال ابن عباس وعكرمة ووهب بن منبه. وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس: أنها هي السعادة. وقال الحسن ومجاهد وقتادة: لا يطيب لأحد حياة إلا في الجنة. وقال الضحاك: هي الرزق الحلال، والعبادة في الدنيا. وقال الضحاك أيضًا: هي العمل بالطاعة والانشراح بها.

والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل هذا كله" . اهـ.

وقال الإمام البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره:

﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾: في الدنيا يعيش عيشًا طيبًا، فإنه إن كان موسرًا: فظاهر. وإن كان معسرًا: يطيب عيشه بالقناعة، والرضا بالقسمة، وتوقع الأجر العظيم في الآخرة، بخلاف الكافر فإنه إن كان معسرًا: فظاهر. وإن كان موسرًا لم يدعه

الحرص، وخوف الفوات أن يتهنأ بعيشه".

﴿ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴾ :

"أي الرفيعة التي قَصُرَت دونها الصفات". انتهى من تفسير القرطبي.

﴿ فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ :

قال العلامة الشوكاني - رحمه الله تعالى - في تفسيره:

"أي يوطئون لأنفسهم منازل في الجنة بالعمل الصالح، والمهاد الفراش، وقد مهَّدتُ الفراشَ مهداً: إذا بسطته ووطأته، فجعل الأعمال الصالحة، التي هي سبب لدخول الجنة، كبناء المنازل في الجنة وفرشها". اهـ.

وقال الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - في تفسيره:

"ومن أطاع الله، فعمل بما أمره به في الدنيا، وانتهى عما نهاه عنه فيها. ﴿ فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ يقول: فلأنفسهم يستعدون، ويسوون المضجع؛ ليسلَموا من عقاب ربهم، وينجوا من عذابه". اهـ.

﴿ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ :

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - في تفسيره:

"أي لا يتقدر بجزاء، بل يثيبه الله عز وجل ثوابًا كثيرًا، لا انقضاء له ولا نفاد، والله تعالى الموفق للصواب". اهـ.

وفي السُّنَّة :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً: يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ: فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا"** (١).

---

(١) حديث صحيح: أخرجه مسلم.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : "**إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً : أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ : فَإِنَّ اللَّهَ يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الآخِرَةِ ، وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ**" (١) .

قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في شرح صحيح مسلم:

"أجمع العلماء: على أن الكافر الذي مات على كفره، لا ثواب له في الآخرة، ولا يجازى فيها بشيء من عمله في الدنيا، متقربًا إلى الله تعالى، وصرح في هذا الحديث بأن يطعم في الدنيا بما عمله من الحسنات، أي: بما فعله متقربًا به إلى الله تعالى، مما لا يفتقر صحته إلى النية، كصلة الرحم، والصدقة، والعتق، والضيافة، وتسهيل الخيرات، ونحوها.. وأما المؤمن: فيدخر له حسناته وثواب أعماله إلى الآخرة، ويجزى بها مع ذلك أيضًا في الدنيا، ولا مانع من جزائه بها في الدنيا والآخرة، وقد ورد الشرع به؛ فيجب اعتقاده.

قوله: « **إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً** » . معناه: لا يترك مجازاته بشيء من حسناته، والظلم يُطلق بمعنى النقص، وحقيقة الظلم مستحيلة من الله تعالى.

ومعنى : « **أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ** » . صار إليها.

وأما إذا فعل الكافر مثل هذه الحسنات ثم أسلم؛ فإنه يثاب عليها في الآخرة، على المذهب الصحيح. وقد سبقت المسألة في كتاب الإيمان" . اهـ.

مطلب في : ما هية العبـــادة :

والمقصود بالعمل الصالح، أو بالأعمال الصالحة هاهنا: العبادة.

والعبادة: الطاعة والتذلل.

إذ هي القيام بما أمر الله تعالى، والانتهاء عما نهى، والقيام بشرائعه.

---

(١) حديث صحيح : أخرجه مسلم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في "مجموع الفتاوى":

"العبادة هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والصيام والحج، وصدقُ الحديث وأداء الأمانة، وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل، والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة.

وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة لله؛ وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له، والمرضية له، التي خلق الخلق لها؛ كما قال تعالى: ﴿**وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلاَّ ليعبُدُون (٥٦)**﴾ [الذاريات: ٥٦]. وبها أُرسِل جميع الرسل، كما قال نوح لقومه عليه السلام: ﴿**اعبُدُوا اللَّهَ ما لكُم مِّنْ إلهٍ غيرُهُ**﴾ [الأعراف: ٥٩].

وكذلك قال هود وصالح وشعيب ـ عليهم السلام ـ وغيرهم لقومهم، وقال تعالى: ﴿**ولقدْ بعثْنا في كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أنِ اعبُدُوا اللَّهَ واجْتنبُوا الطَّاغُوتَ فمنْهُم مَّنْ هدى اللَّهُ ومنْهُم مَّنْ حقَّتْ عليْه الضَّلالةُ**﴾ [النحل: ٣٦].

كما قال في الآية الأخرى: ﴿**ومَا أرْسلْنا من قبْلك من رَّسُولٍ إلاَّ نُوحِي إليْه أنَّهُ لا إله إلاَّ أنا فاعْبُدُون (٢٥)**﴾ [النحل: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿**إنَّ هذه أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحدةً وأنا ربُّكُمْ فاعْبُدُون (٩٢)**﴾.

[الأنبياء: ٩٢].

كما قال في الآية الأخرى: ﴿**يا أيُّها الرُّسُلُ كُلُوا من الطَّيِّبات واعْمَلُوا صالحًا إنِّي بما تعْمَلُون عليمٌ (٥١)**﴾ [المؤمنون: ٥١]، وجعل ذلك لازمًا لرسوله إلى الموت؛ قال: ﴿**واعبُدْ ربَّك حتَّى يأْتيك اليقينُ (٩٩)**﴾ [الحجر: ٩٩].

وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه ؛ فقال تعالى : ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ (٢٠) ﴾ [الأنبياء : ١٩ – ٢٠] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (٢٠٦) ﴾ [الأعراف :٢٠٦] .

وذم المستكبرين عنها بقوله : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠) ﴾ [غافر : ٦٠] .

ونعت صفوة خلقه بالعبودية له فقال تعالى : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) ﴾ [الإنسان : ٦] .

وقال : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] . اهـ.

رُكْنَا العبادة :

إن العبادة تقوم على ركنين أساسيين، لابد منهما، بحيث إذا اختل ركن منهما لم تكن عبادة، وهذان الركنان متلازمان إثباتًا ونفيًا، بمعنى : أنهما يثبتان معًا، أو ينتفيان معًا، وهذان الركنان هما : الحب . . والتعظيم (أو الخوف، والذل، والخضوع) .

"والعبادة تتضمن كمال الحب ونهايته، وكمال الذل ونهايته، فالمحبوب الذي لا يُعَظَّم ولا يُذَلُّ له : لا يكون معبودًا . والمعظَّم الذي لا يُحب : لا يكون معبودًا" (١) .

و"العبادة تتضمن كمال الحب المتضمن معنى الحمد، وتتضمن كمال الذل المتضمن معنى التعظيم، ففي العبادة حبه وحمده على المحاسن، وفيها الذل له الناشيء عن عظمته وكبريائه" (٢) .

---

(١) التحفة العراقية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية .

(٢) دقائق التفسير ، لشيخ الإسلام ابن تيمية .

وقال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في "الجواب الكافي":

"والعبادة هي كمال الحب، مع كمال الخضوع والذل" . اهـ.

وقال في "مدارج السالكين" : "وعلى الحب والخوف مدار السير إلى الله " . اهـ.

[٣] ضوابط العبادة :

إخلاص . . اتباع . . إطاقة . . إدامة . . إحسان . . رجاء

والعبادة لدى المسلم ،ذات ضوابط مهمة ،لابد من تحقيقها والالتزام بها ،وهي:

الإخلاص:

فالإخلاص في العبادة والعمل لابد منه؛ فقد وردت الأدلة في الكتاب والسنة ببيان أهميته، وبيان لزومه للعمل؛ فلا ينفك عن العمل، ولا يفترق عن العبادة.

قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ [البينة: ٥].

وذلك بإفراده تعالى بالطاعة، وتوحيده، فلا يُشرك معه أحد في طاعة أو عبادة.

وهذا كما جاء في الحديث القدسي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: **"قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي؛ تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ"** (١) .

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: **"قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ"** (٢) .

عَنْ أَبِي سَعْدِ بْنِ أَبِي فَضَالَةَ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ مِنْ الصَّحَابَةِ قَالَ: سَمِعْتُ

---

(١) حديث صحيح : أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق ، « من أشرك في عمله غير الله » .

(٢) حديث صحيح : أخرجه ابن ماجة .

رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: "**إِذَا جَمَعَ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ، نَادَى مُنَادٍ: مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلَّهِ أَحَدًا، فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ**" (١).

قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في "شرح صحيح مسلم":

"ومعناه: أنا غني عن المشاركة وغيرها، فمن عمل شيئًا لي ولغيري: لم أقبله؛ بل أتركه لذلك الغير. والمراد: أن عمل المرائي باطل، لا ثواب فيه، ويأثم به". اهـ.

وفي "شرح سنن ابن ماجة" للسِّنديّ:

"**قوله** (**وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ**): هو تأكيد للرد، وإلا فهو عمل باطل". اهـ.

"والمعنى: ما يُقبل إلا ما كان خالصًا لوجهه، وابتغاء لمرضاته" (٢).

وعَنْ أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّه ﷺ: "**أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ؛ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ، وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ: رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ يَقْتَتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي. قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ. قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ. فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ. وَتَقُولُ لَهُ الْمَلائِكَةُ: كَذَبْتَ. وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ إِنَّ فُلانًا قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ.**

وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ، حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ. قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ. قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ. فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ. وَتَقُولُ لَهُ الْمَلائِكَةُ: كَذَبْتَ. وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلانٌ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ.

وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ. فَيَقُولُ:

---

(١) **حديث حسن**: أخرجه أحمد والترمذي، وابن ماجة، وانظر: صحيح الجامع الصغير، للشيخ الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ.

(٢) تحفة الأحوذي، بشرح جامع الترمذي.

أُمِرْتُ بالجهاد في سبيلك؛ فقاتلت حتى قُتلت. فيقول الله تعالى له: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله: بل أردت أن يقال فلان جريء، فقد قيل ذاك.

ثُمَّ ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال: يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أوّل خلق الله تُسعَّر بهم النار يوم القيامة" (١).

«والحديث دليل على تغليظ تحريم الرياء، وشدة عقوبته، وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال،كما قال تعالى: ﴿ وما أُمروا إلاَّ ليعبدُوا الله مُخلصين له الدِّين ﴾ [البينة: ٥].

وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد، وإنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصًا، وكذلك الثناء على العلماء وعلى المنفقين في وجوه الخيرات، كله محمول على من فعل ذلك لله تعالى مخلصًا" (٢).

وقال تعالى: ﴿ من كان يُريد ثواب الدُّنْيا فعند الله ثوابُ الدُّنْيا والآخرة وكان الله سميعًا بصيرًا (١٣٤) ﴾ [النساء: ١٣٤].

قال الإمام القرطبي - رحمه الله تعالى - في تفسيره:

"أي من عمل بما افترضه الله عليه طلبًا للآخرة: آتاه الله ذلك في الآخرة.

ومن عمل طلبًا للدنيا: آتاه بما كتب له في الدنيا، وليس له في الآخرة من ثواب؛ لأنه عمل لغير الله كما قال تعالى: ﴿ وما له في الآخرة من نصيب ﴾ [الشورى: ٢٠]اهـ".

وقال العلامة الشوكاني - رحمه الله تعالى - في تفسيره:

"وهو من يطلب بعمله شيئًا من أمور الدنيا، كالمجاهد يطلب الغنيمة دون الأجر.

﴿ فعند الله ثوابُ الدُّنْيا والآخرة ﴾: فما باله يقتصر على أدنى الثوابين، وأحقر الأجرين، وهلا طلب بعمله ما عند الله سبحانه، وهو ثواب الدنيا والآخرة، فيحرزها

(١) حديث صحيح: أخرجه الترمذي والحاكم، وانظر «صحيح الجامع الصغير»، للشيخ الألباني رحمه الله.
(٢) تحفة الأحوذي، بشرح جامع الترمذي.

جميعًا، ويفوز بهما" . اهـ.

وقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) ﴾ [هود: ١٥].

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - في تفسيره:

"قال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية: إن أهل الرياء يُعطون بحسناتهم في الدنيا، وذلك أنهم لا يُظلمون نقيرًا. يقول: من عمل صالحًا التماس الدنيا صومًا، أو صلاة، أو تهجدًا بالليل لا يعمله إلا التماس الدنيا،يقول الله تعالى: أوفيه الذي التمس في الدنيا من المثابة، وحبط عمله الذي كان يعمله لالتماس الدنيا، وهو في الآخرة من الخاسرين" . اهـ.

وقال الإمام البيضاوي - رحمه الله تعالى - في تفسيره:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ : بإحسانه وبره.

﴿ نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا ﴾ : نوصل إليهم جزاء أعمالهم في الدنيا، من الصحة، والرئاسة، وسعة الرزق، وكثرة الأولاد.

﴿ وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ : لا يُنقصون شيئًا من أجورهم.

والآية في أهل الرياء. وقيل في المنافقين. وقيل في الكفرة وغرضهم وبرهم" . اهـ.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ رَاءَى رَاءَى اللَّهُ بِهِ**" (١) .

قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى - في شرح صحيح مسلم:

"قال العلماء: معناه من راءى بعمله، وسَمَّعَه الناس ؛ ليكرموه ويعظموه، ويعتقدوا خيره: سَمَّعَ الله به يوم القيامة الناس وفضحه.

وقيل: معناه من سمَّع بعيوبه وأذاعها، أظهر الله عيوبه. وقيل: أسمعه المكروه.

(١) حديث صحيح أخرجه مسلم.

وقيل: أراه الله ثواب ذلك، من غير أن يعطيه إياه؛ ليكون حسرة عليه. وقيل: معناه من أراد بعمله الناس، أسمعه الله الناس، وكان ذلك حظه منه" . اهـ.

وبالجملة: فينبغي لكل مسلم ومسلمة، أن يحقق الإخلاص في عمله، كبيراً كان أو صغيراً، وعليه أن يحفظه ويصونه من: الشرك، والرياء، والسُّمْعة، والمباهاة والمفاخرة، ومن إرادة الدنيا؛ فكل هذه مُحْبِطَةٌ لعمله.

الاتبـــاع:

وهو يلي الإخلاص في الأهمية، بل هو متمم له ومكمِّلٌ؛ إذ أن أي عبادة أو عمل توفر فيه الإخلاص، ولم يكن على السنة، وما جاء به الشرع: فإنه مردود، وكذا لو كان على السنة ولم يكن ذا إخلاص: فإنه مردود.. والله تعالى أعلم.

قال الله تعالى: ﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ** (٢) ﴾ [الملك: ٢].

"قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ قال: أخلصه وأصوبه. فقيل له: يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل؛ حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السُّنَّة " (١).

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **"مَنْ عَمِلَ عَمَلا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ"** . (٢).

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في "فتح الباري":

"وهذا الحديث معدود من أصول الإسلام، وقاعدة من قواعده؛ فإن معناه: من

---

(١) انظر في تفاسير القرآن، عند تفسير أول سورة الملك.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري، ومسلم.

اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يُلتفت إليه. قال النووي: هذا الحديث مما ينبغي أن يُعتنى بحفظه،واستعماله في إبطال المنكرات، وإشاعة الاستدلال به كذلك. وقال الطرقي: هذا الحديث يصلح أن يُسمى نصف أدلة الشرع؛ لأن الدليل يتركب من مقدمتين، والمطلوب بالدليل إما إثبات الحكم، أو نفيه، وهذا الحديث مقدمة كبرى في إثبات كل حكم شرعي ونفيه؛ لأن منطوقه مقدمة كلية في كل دليل ناف لحكم، مثل أن يقال في الوضوء بماء نجس: هذا ليس من أمر الشرع. وكل ما كان كذلك فهو مردود، فهذا العمل مردود. فالمقدمة الثانية ثابتة بهذا الحديث، وإنما يقع النزاع في الأولى. ومفهومه: أن من عمل عملاً عليه أمر الشرع فهو صحيح، مثل أن يقال في الوضوء بالنية: هذا عليه أمر الشرع. وكل ما كان عليه أمر الشرع فهو صحيح. فالمقدمة الثانية ثابتة بهذا الحديث، والأولى فيها النزاع، فلو اتفق أن يُوجد حديث يكون مقدمة أولى في إثبات كل حكم شرعي ونفيه، لاستقل الحديثان بجميع أدلة الشرع، لكن هذا الثاني لا يوجد؛ فإذًا حديث الباب نصف أدلة الشرع والله أعلم.

وقوله: "رَدٌّ". معناه: مردود". اهـ.

وفي معنى الاتباع: أن عمل المسلم أو المسلمة، لا يكون إلا بما شرع الله تعالى، وأمر به رسوله ﷺ، فلا يعمل مسلم أو مسلمة، بما يراه هو حسنًا؛ إلا أن يكون له أصل في الشرع.

قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)** ﴾ [الكهف:١٠٣، ١٠٤].

قال الحافظ ابن كثير- رحمه الله تعالى- في تفسيره:

"أي عملوا أعمالاً باطلة، على غير شريعة مشروعة، مرضية مقبولة. "وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا" : أي يعتقدون أنهم على شيء، وأنهم مقبولون محبوبون". اهـ.

وقال الإمام القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره:

"فيه دلالة على أن من الناس، من يعمل العمل، وهو يظن أنه مُحسن، وقد حَبِطَ سعيُهُ، والذي يوجب إحباط السعي: إما فساد الاعتقاد، أو المراءاة". اهـ.

وعليه: فينبغي أن يُحفظ العمل ويُصان من: الهوى، والابتداع، والاستحسان الشخصي، والذوق النفسي.. وما إلى ذلك مما ليس من الشرع؛ فإنه مُحْبِطٌ للعمل.

الإطـــاقـــــة:

ومعناه: أن لا يُكلفَ نفسه من العمل ما لا يطيق؛ فإن الملل أسرع إليه، ومن ثم فإنه سيترك العمل بالكلية، وهذا ما جاءت به الشريعة الغراء.

قال تعالى: ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نفْساً إلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال تعالى: ﴿ **لا نُكَلِّفُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ [الأنعام: ١٥٢، والأعراف: ١٤].

وقال تعالى: ﴿ **ما يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ** ﴾ [المائدة: ٦].

وقال تعالى: ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ [الحج: ٧٨].

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره:

"**وقوله** ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَهَا** ﴾: أي لا يكلف أحداً فوق طاقته، وهذا من لطفه تعالى بخلقه، ورأفته بهم، وإحسانه إليهم". اهـ.

وفي "تفسير البغوي":

"وسُئل سفيان بن عُيَيْنَة عن قوله عز وجل: ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَهَا** ﴾ قال: إلا يُسْرَهَا، ولم يكلفها فوق طاقتها. وهذا قول حسن؛ لأن الوسع ما دون الطاقة". اهـ.

وفي "تفسير البيضاوي":

﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَهَا** ﴾: إلا ما تسعه قدرتها؛ فضلاً ورحمةً، أو ما

دون مدى طاقتها، بحيث يتسع فيه طوقها، ويتيسر عليها، كقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾[البقرة : ١٨٥] ، وهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال، ولا يدل على امتناعه" . اهـ.

وقال الإمام الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره:

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ لا يكلف الله نفسًا فيتعبدها إلا بما يسعها، فلا يضيق عليها ولا يجهدها" . اهـ.

وأما ما جاء في ذلك من السُّنة:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ، فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ؛ فَقَالَ: "**مَا هَذَا الْحَبْلُ؟**" . قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ؛ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "**لَا؛ حُلُّوهُ؛ لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ**" (١) .

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَهُمْ، أَمَرَهُمْ مِنَ الأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ. قَالُوا: إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ. فَيَغْضَبُ حَتَّى يُعْرَفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: "**إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا**" (٢) .

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ؛ قَالَ: "**مَنْ هَذِهِ؟**" . قَالَتْ: فُلَانَةُ. تَذْكُرُ مِنْ صَلَاتِهَا. قَالَ: "**مَهْ؛ عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ؛ فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا**" . وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَادَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ (٣) .

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في "فتح الباري":

"وفيه الحث على الاقتصاد في العبادة، والنهي عن التعمق فيها، والأمر بالإقبال

---

(١) حديث صحيح : أخرجه البخاري .

(٢) حديث صحيح : أخرجه البخاري .

(٣) حديث صحيح : أخرجه البخاري ، ومسلم .

عليها بنشاط" . اهـ.

وقال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في شرح صحيح مسلم:

"**قوله** ﷺ : «**عليكم من الأعمال ما تطيقون**» : أي تطيقون الدوام عليه بلا ضرر. وفيه: دليل على الحث على الاقتصاد في العبادة، واجتناب التعمق، وليس الحديث مختصًّا بالصلاة، بل هو عام في جميع أعمال البر" . اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في "فتح الباري":

"**قوله**: « **عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ** »: أي اشتغلوا من الأعمال بما تستطيعون المداومة عليه، فمنطوقه يقتضي الأمر بالاقتصار على ما يُطاق من العبادة، ومفهومه يقتضي النهي عن تكلف ما لا يُطاق" . اهـ.

وقال أيضًا:

قوله: «**ما تطيقون**» أي قدر طاقتكم. والحاصل أنه أمر بالجد في العبادة، والإبلاغ بها إلى حد النهاية، لكن بقيد ما لا تقع معه المشقة، المفضية إلى السآمة والملال" . اهـ.

وقال: "قوله: « **لا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا** » : هو بفتح الميم في الموضعين. والملال: استثقال الشيء، ونفور النفس عنه بعد محبته، وهو محال على الله تعالى باتفاق. قال الإسماعيلي وجماعة من المحققين: إنما أطلق هذا على جهة المقابلة اللفظية مجازًا كما قال تعالى: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى : ٤٠] وأنظاره.

قال القرطبي: وجه مجازه: أنه تعالى لما كان يقطع ثوابه عمن يقطع العمل ملالا، عبر عن ذلك بالملال، من باب تسمية الشيء باسم سببه. وقال الهروي: معناه: لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا سؤاله، فتزهدوا في الرغبة إليه. وقال غيره: معناه: لا يتناهى حقه عليكم في الطاعة حتى يتناهى جهدكم. وهذا كله بناء على أن "حتى" على بابها في انتهاء الغاية، وما يترتب عليها من المفهوم. وجنح بعضهم إلى تأويلها فقيل: معناه لا يمل الله إذا مللتم، وهو مستعمل في كلام العرب؛ يقولون: لا أفعل

كذا حتى يبيض القار. أو حتى يشيب الغراب. ومنه قولهم في البليغ: لا ينقطع حتى ينقطع خصومه، لأنه لو انقطع حين ينقطعون، لم يكن له عليهم مزية.

وهذا المثال أشبه من الذي قبله؛ لأن شيب الغراب ليس ممكنا عادة، بخلاف الملل من العابد. وقال المازَرِيُّ: قيل إن "حتى" هنا بمعنى الواو، فيكون التقدير: لا يمل وتملون، فنفى عنه الملل وأثبته لهم. قال: وقيل "حتى" بمعنى حين. والأول أليق وأجرى على القواعد، وأنه من باب المقابلة اللفظية. ويؤيده ما وقع في بعض طرق حديث عائشة بلفظ: "**اكلفوا من العمل ما تطيقون؛ فإن الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل**". لكن في سنده موسى بن عبيدة وهو ضعيف.

وقال ابن حبان في صحيحه: هذا من ألفاظ التعارف، التي لا يتهيأ للمُخَاطَبِ أن يعرف القصد مما يخاطب به إلا بها، وهذا رأيه في جميع المتشابه". اهـ.

قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في شرح صحيح مسلم:

"**وفي هذا الحديث**: كمال شفقته ﷺ ورأفته بأمته؛ لأنه أرشدهم إلى ما يصلحهم، وهو ما يمكنهم الدوام عليه بلا مشقة ولا ضرر، فتكون النفس أنشط، والقلب منشرحًا؛ فتتم العبادة، بخلاف من تعاطى من الأعمال ما يشق؛ فإنه بصدد أن يتركه، أو بعضه، أو يفعله بكلفة، وبغير انشراح القلب؛ فيفوته خير عظيم، وقد ذم الله سبحانه وتعالى من اعتاد عبادة، ثم أفرط فقال تعالى: ﴿ **وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا** ﴾ [الحديد : ٢٧]. وقد ندم عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، على تركه قبول رخصة رسول الله ﷺ في تخفيف العبادة، ومجانبة التشديد". اهـ.

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "**إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلاةِ فَلْيَرْقُدْ؛ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ؛ لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ**" (١).

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري، ومسلم.

هَمَّام بْنِ مُنَبِّه قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنْ مُحَمَّد رَسُول اللَّه ﷺ ، فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: **"إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ اللَّيْلِ، فَاسْتَعْجَمَ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِه، فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ؛ فَلْيَضْطَجِعْ"** (١) .

قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في شرح صحيح مسلم:

"وفيه: الحث على الإقبال على الصلاة بخشوع، وفراغ قلب، ونشاط.

وفيه: أمر الناعس بالنوم أو نحوه؛ مما يذهب عنه النعاس ، وهذا عام في صلاة الفرض والنفل، في الليل والنهار، وهذا مذهبنا والجمهور، لكن لا يخرج فريضة عن وقتها. قال القاضي: وحمله مالك وجماعة على نفل الليل؛ لأنه محل النوم غالبًا.

قوله ﷺ: « فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه» : قال القاضي: معنى يستغفر هنا: يدعو" . اهـ.

وقال أيضًا: "قوله ﷺ: (فاستعجم عليه القرآن): أي استغلق، ولم ينطلق به لسانه؛ لغلبة النعاس" . اهـ.

وعن عَبْدِاللَّه بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّه ﷺ: **"يَا عَبْدَ اللَّه، لا تَكُنْ مِثْلَ فُلانٍ؛ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ"** (٢) .

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في "فتح الباري":

"**قوله**: (مثل فلان) لم أقف على تسميته في شيء من الطرق، وكان إبهام مثل هذا لقصد السترة عليه.. ويحتمل أن يكون النبي ﷺ لم يقصد شخصًا معينًا، وإنما أراد تنفير عبد الله بن عمرو من الصنيع المذكور.

قال ابن العربي: في هذا الحديث دليل على أن قيام الليل ليس بواجب؛ إذ لو كان واجبًا لم يكتف لتاركه بهذا القدر، بل كان يذمه أبلغ الذم.

وقال ابن حيان: فيه جواز ذكر الشخص بما فيه من عيب؛ إذا قصد بذلك

---

(١) حديث صحيح : أخرجه البخاري ، ومسلم .

(٢) حديث صحيح : أخرجه البخاري ومسلم .

التحذير من صنيعه.

وفيه استحباب الدوام على ما اعتاده المرء من الخير من غير تفريط ، ويستنبط منه كراهة قطع العبادة، وإن لم تكن واجبة.

وما أحسن ما عقب المصنف هذه الترجمة بالتي قبلها [١] ؛ لأن الحاصل منهما الترغيب في ملازمة العبادة، والطريق الموصل إلى ذلك الاقتصاد فيها؛ لأن التشديد فيها قد يؤدي إلى تركها وهو مذموم" . اهـ.

وعليه: فقد ذمَّ الشرعُ الحنيفُ التشديدَ في العبادات؛ لأجل أنه ـ أي التشديد ـ سبب من أسباب حصول الملل، ومن ثَمَّ تركها، وعدم الثبات عليها.. ولذا فقد جاء في الحديث : عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "**إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ؛ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ**" [٢] .

قال العلامة المناوي ـ رحمه الله تعالى ـ في "فيض القدير":

(إن هذا الدين متين) : أي صلب شديد . (فأوغلوا) : أي سيروا.

(فيه برفق) : من غير تكلف، ولا تحملوا على أنفسكم ما لا تطيقونه؛ فتعجزوا وتتركوا العمل.

و"الإيغال" كما في "النهاية" :السير الشديد . والوغول : الدخول في الشيء .اهـ.

والظاهر أن المراد في الحديث : السير لا يفيد الشدة، إذ لا يلائم السياق.

وقال الغزالي : أراد بهذا الحديث أن لا يكلف نفسه في أعماله الدينية ما يخالف العادة، بل يكون بتلطف وتدريج، فلا ينتقل دفعة واحدة إلى الطرف الأقصى من التبدل؛ فإن الطبع نفور، ولا يمكن نقله عن أخلاقه الرديئة إلا شيئًا فشيئًا، حتى تنفصم تلك الصفات المذمومة الراسخة فيه، ومن لم يراع التدريج وتوغل دفعة

---

(١) فهذا : « باب ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقُومه » ، والذي قبله : « باب ما يكره من التشديد في العبادة » ، من كتاب « الجمعة » ، في « صحيح البخاري » .

(٢) **حديث حسن** : أخرجه أحمد ، وانظر « صحيح الجامع الصغير » .

واحدة؛ ترقى إلى حالة تشق عليه؛ فتنعكس أموره؛ فيصير ما كان محبوبًا عنده ممقوتًا، وما كان مكروهًا عنده مشربًا هنيئًا لا ينفر عنه، وهذا لا يُعرف إلا بالتجربة والذوق، وله نظير في العادات، فإن الصبي يُحمل على التعليم ابتداء قهرًا؛ فيشق عليه الصبر عن اللعب والصبر مع العلم، حتى إذا انفتحت بصيرته وأنس بالعلم، انقلب الأمر فصار يشق عليه الصبر عن العلم" . اهـ.

الإدامـــــة :

وهي الثبات على العمل، وعدم تركه أو التحول عنه، وهذه الإدامة، أو هذا الثبات على العمل، إنما يحصل بأمرين:

الأمر الأول: تحقيق الضابط السابق، والذي هو: (الإطاقة) وقد وقفتَ على ما فيه من أدلة، وشروح لأهل العلم.

والأمر الثاني: الوقوف على الْهَدْي المأثور في ضابط (الإدامة) ومن ذلك.

عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: "**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، وَأَنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّه أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ**" . متفق عليه.

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّه؟ قَالَ: "**أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ**" . وَقَالَ: "**اكْلَفُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ**" (١) .

وعَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: "**أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّه تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ**" . قَالَ: وَكَانَتْ عَائِشَةُ إِذَا عَمِلَتِ الْعَمَلَ لَزِمَتْهُ (٢) .

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في "فتح الباري":

"المداومة على عمل من أعمال البر ولو كان مفضولاً، أحب إلى الله من عمل يكون أعظم أجرًا لكن ليس فيه مداومة" . اهـ.

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري ومسلم.
(٢) حديث صحيح: أخرجه مسلم.

قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في شرح صحيح مسلم:

"وفيه: الحث على المداومة على العمل، وأن قليله الدائم خير من كثير ينقطع، وإنما كان القليل الدائم خيراً من الكثير المنقطع؛ لأن بدوام القليل تدوم الطاعة، والذكر، والمراقبة، والنية، والإخلاص، والإقبال على الخالق سبحانه تعالى، ويثمر القليل الدائم، بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافًا كثيرة". اهـ.

فينبغي إذًا لكل مسلم ومسلمة، أن لا يستَقِل أي عمل من الأعمال، ولكن يداوم عليه؛ فإن في دوامه عليه: الثبات، ومزيد حبه، وأداؤه بنشاط وهمة، وخشوع وحضور قلب.

الإحسان:

فإن الإحسان هو روح العبادة، وهو ميزان العمل، وهو الوارد بيانه وحقيقته، في حديث جبريل عليه السلام، والذي هو:

عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الإِيمَانُ؟، قَالَ: "**الإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ**"، قَالَ: مَا الإِسْلامُ؟، قَالَ: "**الإِسْلامُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ**". قَالَ: مَا الإِحْسَانُ؟، قَالَ: "**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**". قَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟، قَالَ: "**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإِبِلِ الْبُهْمُ فِي الْبُنْيَانِ، فِي خَمْسٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إِلا اللَّهُ**". ثُمَّ تَلا النَّبِيُّ ﷺ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [لقمان : ٣٤]. ثُمَّ أَدْبَرَ؛ فَقَالَ: "رُدُّوهُ". فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا؛ فَقَالَ: "هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ".

قَالَ أَبُو عَبْدِاللَّهِ ـ أي البخاري ـ جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنَ الإِيمَانِ (١).

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري مسلم.

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - في "فتح الباري":

"قيل قدم السؤال عن الإيمان لأنه الأصل، وثنّى بالإسلام لأنه يظهر مصداق الدعوى، وثلّثَ بالإحسان لأنه متعلق بهما.

قوله: (الإحسان) هو مصدر. تقول: أحسَنَ يُحسن إحسانًا. ويتعدى بنفسه وبغيره؛ تقول: أحسنتُ كذا. إذا أتقنته. وأحسنت إلى فلان. إذا أوصلت إليه النفع. والأول هو المراد؛ لأن المقصود إتقان العبادة. وقد يلحظ الثاني بأن المخلص مثلا محسن بإخلاصه إلى نفسه.

وإحسان العبادة: الإخلاص فيها، والخشوع، وفراغ البال حال التلبس بها، ومراقبة المعبود. وأشار في الجواب إلى حالتين: أرفعهما: أن يغلب عليه مشاهدة الحق بقلبه، حتى كأنه يراه بعينه، وهو قوله: "**كأنك تراه**" أي وهو يراك. والثانية: أن يستحضر أن الحق مطلع عليه، يرى كل ما يعمل. وهو قوله: "فإنه يراك". وهاتان الحالتان يثمرهما معرفة الله وخشيته". اهـ.

وقال الإمام النووي - رحمه الله تعالى - في شرح صحيح مسلم:

قوله: ﷺ: (**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**). هذا من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ، لأنَّا لو قدرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه سبحانه وتعالى؛ لم يترك شيئًا مما يقدر عليه من: الخضوع، والخشوع، وحسن السَّمت، واجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها، إلا أتى به، فقال ﷺ: اعبد الله في جميع أحوالك، كعبادتك في حال العيان، فإن التتميم المذكور في حال العيان إنما كان لعلم العبد باطلاع الله سبحانه وتعالى عليه، فلا يَقْدِم العبد على تقصير في هذا الحال للاطلاع عليه، وهذا المعنى موجود مع عدم رؤية العبد، فينبغي أن يعمل بمقتضاه، فمقصود الكلام: الحث على الإخلاص في العبادة، ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى، في إتمام الخشوع والخضوع، وغير ذلك. وقد

ندب أهل الحقائق إلى مجالسة الصالحين؛ ليكون ذلك مانعًا من تلبسه بشيء من النقائص؛ احترامًا لهم واستحياء منهم، فكيف بمن لا يزال الله تعالى مطلعًا عليه في سره وعلانيته ؟!" . اهـ.

وقد أمر الله تعالى عباده به، فقال تعالى: ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره:

"**قوله:** تعالى: ﴿ وَأَحْسِنُوا ﴾ . أي في الإنفاق في الطاعة، وأحسنوا الظن بالله في إخلافه عليكم. وقيل: ﴿ وَأَحْسِنُوا ﴾ في أعمالكم بامتثال الطاعات" . اهـ.

وعَنْ شَدَّاد بْنِ أَوْسٍ قَالَ: ثِنْتَان حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُول اللَّه ﷺ، قَالَ: "**إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**" (١) .

قال العلامة المناوي ـ رحمه الله تعالى ـ في "فيض القدير":

« "**إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ** » : أي أوجب، أو طلب. والأول هو موضوع "**كَتَبَ**" عند أكثر أهل العرف. لكن الثاني أولى؛ لشموله للمندوب ومكملاته. (**الإِحْسَانَ**) : مصدر أحسن، وهو هنا ما حَسَّنَهُ الشرع لا العقل، خلافًا للمعتزلة.

والمراد: طلب تحسين الأعمال المشروعة، باتباعها بمكملاتها المعتبرة شرعًا" . اهـ.

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: "**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يُتقنَه**" (٢) . أي فليحسنه.

فلابد إذًا من إحسان العمل، وذلك: بالإخلاص فيه، وتحقيق الاتباع، والتحرز من مبطلاته.

---

(١) حديث صحيح : أخرجه مسلم .

(٢) حديث حسن : أخرجه البيهقي في « شُعب الإيمان » ، وانظر : صحيح الجامع .

الرجـــــاء:

وهو أن يرجو العبد قبول عمله، وأن يثيبه الله تعالى عليه، وهذا الذي يُسمى في الأدلة: بالاحتساب، وقد ذُكر كثيراً في أحاديث النبي ﷺ، ومنها:

■ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**" (١).

■ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**". (٢).

■ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**" (٣).

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في "فتح الباري":

"والمراد بالإيمان: الاعتقاد بحق فرضية صومه. وبالاحتساب: طلب الثواب من الله تعالى".

وقال أيضاً: "**إِيمَانًا**: أي تصديقًا بوعد الله بالثواب عليه.

احْتِسَابًا: أي طلبًا للأجر، لا لقصد آخر من رياء أو نحوه". اهـ.

وقال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في شرح صحيح مسلم:

"معنى (**إِيمَانًا**): تصديقًا بأنه حق، مقتصد فضيلته.

ومعنى (**احْتِسَابًا**): أن يريد الله تعالى وحده، لا يقصد رؤية الناس، ولا غير ذلك مما يخالف الإخلاص". اهـ.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري ومسلم.

(٣) حديث صحيح: أخرجه البخاري ومسلم.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) ﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦٠].

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - في تفسيره:

"يقول تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴾: أي هم مع إحسانهم، وإيمانهم، وعملهم الصالح: مشفقون من الله، خائفون منه، وَجِلُون من مَكْره بهم. كما قال الحسن البصري: إن المؤمن جمع إحسانًا وشفقة، وإن الكافر جمع إساءة وأمنًا.

﴿ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾: أي يؤمنون بآياته الكونية والشرعية، كقوله تعالى إخبارًا عن مريم - عليها السلام -: ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ ﴾ [التحريم: ١٢]، أي أيقنت أن ما كان إنما هو عن قدر الله وقضائه، وما شرعه الله فهو إن كان أمرًا: فمما يحبه ويرضاه، وإن كان نهيًا: فهو مما يكرهه ويأباه، وإن كان خبرًا فهو حق، كما قال الله: ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ أي لا يعبدون معه غيره، بل يوحدونه، ويعلمون أنه لا إله إلا الله، أحدًا صمدًا، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأنه لا نظير له، ولا كفء له.

وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) ﴾: أي يعطون العطاء، وهم خائفون وجلون؛ أن لا يتقبل منهم؛ لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشرط الإعطاء، وهذا من باب الإشفاق والاحتياط". اهـ.

وقال العلامة الشوكاني - رحمه الله تعالى - في تفسيره:

"قال الزجاج: قلوبهم خائفة؛ لأنهم إلى ربهم راجعون، وسبب الوجل: هو أن يخافوا أن لا يقبل منهم ذلك على الوجه المطلوب، لا مجرد رجوعهم إليه سبحانه. وقيل المعنى: أن من اعتقد الرجوع إلى الجزاء والحساب، وعلم أن المجازي والمحاسب هو الرب الذي لا تخفى عليه خافية، لم يخل من وجل". اهـ.

عَنْ عَبْدِالرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ وَهْبٍ الْهَمْدَانِيِّ، أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: "**لا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ، وَيُصَلُّونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ**". أخرجه الترمذي، وصححه الشيخ الألباني - رحمه الله -.

وفي رواية الإمام أحمد، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾. أَهُوَ الرَّجُلُ يَزْنِي وَيَسْرِقُ وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ؟ قَالَ: "**لا يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ. أَوْ لا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ، وَيُصَلِّي، وَيَتَصَدَّقُ، وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لا يُقْبَلَ مِنْهُ**".

قال الإمام القرطبي - رحمه الله تعالى - في تفسيره:

"وقال الحسن: لقد أدركنا أقوامًا كانوا من حسناتهم أن ترد عليهم، أشفق منكم على سيئاتكم أن تعذبوا عليها". اهـ.

وقد بين النبي ﷺ، أنه ليس لأحد أن يتكل على عمله:

■ عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ**". قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ **قَالَ**: "**لا، وَلا أَنَا؛ إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ؛ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَلا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ؛ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ**".

■ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ**". قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، **قَالَ**: "**وَلا أَنَا، إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا**" (١).

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري ومسلم.

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في "فتح الباري":

"قال ابن بطال في الجمع بين هذا الحديث وقوله تعالى: ﴿ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٣] ما محصله: أن تُحمل الآية: على أن الجنة تُنال المنازل فيها بالأعمال؛ فإن درجات الجنة متفاوتة بحسب تفاوت الأعمال. وأن يحمل الحديث على دخول الجنة والخلود فيها.

ثم أورد على هذا الجواب قوله تعالى: ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٣٢] . فصرح بأن دخول الجنة أيضاً بالأعمال. وأجاب بأنه لفظ مجمل بينه الحديث. والتقدير: ادخلوا منازل الجنة وقصورها بما كنتم تعملون، وليس المراد بذلك أصل الدخول. ثم قال: ويجوز أن يكون الحديث مفسراً للآية. والتقدير: ادخلوها بما كنتم تعملون، مع رحمة الله لكم وتفضله عليكم؛ لأن اقتسام منازل الجنة برحمته، وكذا أصل دخول الجنة هو برحمته، حيث ألهم العاملين ما نالوا به ذلك، ولا يخلو شيء من مجازاته لعباده من رحمته وفضله، وقد تفضل عليهم ابتداءً بإيجادهم، ثم برزقهم، ثم بتعليمهم.

وقال عياض: طريق الجمع أن الحديث فسر ما أُجمل في الآية. فذكر نحواً من كلام ابن بطال الأخير، وأن من رحمة الله توفيقه للعمل، وهدايته للطاعة، كل ذلك لم يستحقه العامل بعمله. وإنما هو بفضل الله وبرحمته.

وقال ابن الجوزي: يتحصل عن ذلك أربعة أجوبة:

الأول: أن التوفيق للعمل من رحمة الله، ولولا رحمة الله السابقة ما حصل الإيمان ولا الطاعة التي يحصل بها النجاة.

الثاني: أن منافع العبد لسيده، فعمله مستحق لمولاه، فمهما أنعم عليه من الجزاء، فهو من فضله.

الثالث: جاء في بعض الأحاديث أن نفس دخول الجنة برحمة الله، واقتسام الدرجات بالأعمال.

الرابع: أن أعمال الطاعات كانت في زمن يسير، والثواب لا ينفد، فالإنعام الذي لا ينفد، في جزاء ما ينفد، بالفضل لا بمقابلة الأعمال.

وقال الكرماني: الباء في قوله ﴿ **بما كُنتُم تعملون** ﴾ ليس للسببية، بل للإلصاق أو المصاحبة، أي أورثتموها ملابسة أو مصاحبة، أو للمقابلة، نحو أُعطيت الشاة بالدرهم. وبهذا الأخير جزم الشيخ جمال الدين بن هشام في "المغني" فسبق إليه، فقال: تَرِدُ الباء للمقابلة، وهي الداخلة على الأعواض، كاشتريته بألف، ومنه: ﴿ **ادخُلوا الجنَة بما كُنتم تعملون** ﴾. وإنما لم تقدر هنا للسببية، كما قالت المعتزلة وكما قال الجميع في "لن يدخل أحدكم الجنة بعمله"؛ لأن المعطي بعوض قد يعطى مجانًا، بخلاف المسبب، فلا يوجد بدون السبب. قال: وعلى ذلك ينتفي التعارض بين الآية والحديث.

قلت ـ أي الحافظ ابن حجر ـ: سبقه إلى ذلك ابن القيم، فقال في كتاب "مفتاح دار السعادة": الباء المقتضية للدخول غير الباء الماضية، فالأولى السببية الدالة على أن الأعمال سبب الدخول، المقتضية له كاقتضاء سائر الأسباب لمسبباتها، والثانية بالمعاوضة، نحو اشتريت منه بكذا. فأخبر أن دخول الجنة ليس في مقابلة عمل أحد، وأنه لولا رحمة الله لعبده لما أدخله الجنة؛ لأن العمل بمجرده ولو تناهي، لا يوجب بمجرده دخول الجنة، ولا أن يكون عوضًا لها؛ لأنه ولو وقع على الوجه الذي يحبه الله، لا يقاوم نعمة الله، بل جميع العمل لا يوازي نعمة واحدة، فتبقى سائر نعمه مقتضية لشكرها، وهو لم يوفها حق شكرها، فلو عذبه في هذه الحالة، لعذَّبَهُ وهو غير ظالم، وإذا رحمه في هذه الحالة، كانت رحمته خيراً من عمله.

ويظهر لي في الجمع بين الآية والحديث جواب آخر، وهو: أن يُحمل الحديث على أن العمل من حيث هو عمل، لا يستفيد به العامل دخول الجنة؛ ما لم يكن مقبولا. وإذا كان كذلك، فأمر القبول إلى الله تعالى، وإنما يحصل برحمة الله لمن يقبل منه، وعلى هذا فمعنى قوله: ﴿ **ادخُلوا الجنَة بما كُنتم تعملون** ﴾. أي تعملونه من

العمل المقبول، ولا يضر بعد هذا أن تكون الباء للمصاحبة أو للإلصاق أو المقابلة، ولا يلزم من ذلك أن تكون سببية. ثم رأيت النووي جزم بأن ظاهر الآيات: أن دخول الجنة بسبب الأعمال، والجمع بينهما وبين الحديث: أن التوفيق للأعمال، والهداية للإخلاص فيها، وقبولها: إنما هو برحمة الله وفضله، فيصح: أنه لم يدخل بمجرد العمل، وهو مراد الحديث، ويصح أنه دخل بسبب العمل، وهو من رحمة الله تعالى. ورد الكرماني الأخير؛ بأنه خلاف صريح الحديث. وقال المازريُّ: ذهب أهل السُّنَّة: إلى أن إثابة الله تعالى مَنْ أطاعه بفضل منه، وكذلك انتقامه ممن عصاه بعدل منه، ولا يثبت واحد منهما إلا بالسمع، وله سبحانه وتعالى أن يعذب الطائع، ويُنَعِّمَ العاصي، ولكنه أخبر أنه لا يفعل ذلك، وخبره صدق لا خُلْفَ فيه. وهذا الحديث يقوي مقالتهم، ويرد على المعتزلة؛ حيث أثبتوا بعقولهم أعواض الأعمال، ولهم في ذلك خبط كثير وتفصيل طويل.

قوله: (قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟): قال الكرماني: إذا كان كل الناس لا يدخلون الجنة إلا برحمة الله، فوجه تخصيص رسول الله ﷺ بالذكر: أنه إذا كان مقطوعًا له بأنه يدخل الجنة، ثم لا يدخلها إلا برحمة الله، فغيره يكون في ذلك بطريق الأولى.

قال الرافعي: في الحديث: أن العامل لا ينبغي أن يَتَّكِل على عمله في طلب النجاة، ونيل الدرجات؛ لأنه إنما عمل بتوفيق الله، وإنما ترك المعصية بعصمة الله، فكل ذلك بفضله ورحمته.

قوله: (سددوا) في رواية بشر بن سعيد عن أبي هريرة عند مسلم: "**ولكن سددوا**". ومعناه: اقصدوا السداد، أي الصواب. ومعنى هذا الاستدراك: أنه قد يُفهم من النفي المذكور نفي فائدة العمل، فكأنه قيل: بل له فائدة، وهو أن العمل علامة على وجود الرحمة التي تُدخل العامل الجنة؛ فاعملوا، واقصدوا بعملكم الصواب، أي اتباع السُّنَّة من الإخلاص وغيره؛ ليقبل عملكم؛ فينزل عليكم الرحمة.

قوله: (وقاربوا). أي لا تُفْرِطُوا؛ فتجهدوا أنفسكم في العبادة، لئلا يفضي بكم ذلك إلى الملال؛ فتتركوا العمل فَتُفَرِّطُوا.

قوله: (واغدوا وروحوا وشيئا من الدلجة). والمراد بالغدو: السير من أول النهار. وبالرواح: السير من أول النصف الثاني من النهار. والدلجة، بضم المهملة وسكون اللام، ويجوز فتحها، وبعد اللام جيم: سير الليل. يقال: سار دلجة من الليل: أي ساعة. فلذلك قال شيئا من الدلجة؛ لعسر سير جميع الليل، فكأن فيه إشارة إلى صيام جميع النهار، وقيام بعض الليل، وإلى أعم من ذلك من سائر أوجه العبادة. وفيه إشارة إلى الحث على الرفق في العبادة، وهو الموافق للترجمة. وعبر بما يدل على السير؛ لأن العابد كالسائر إلى محل إقامته، وهو الجنة.

قوله: (والقصد القصد). بالنصب على الإغراء، أي الزموا الطريق الوسط المعتدل". اهـ.

وعليه: فلابد من لزوم العبد للرجاء، وأن يرجو الله أبدًا في قبول أعماله، وإثابته عليها، كما يرجوه أن يوفقه لما يحب ويرضى، وأن ينجيه من عذاب النار.